

في مواطن الآثار رحلة الى جنوبي العراق

للكنور ناهي الاصيل

مدير الآثار القديمة العام

ففي ذلك الزمن البعيد وعلى مقربة من
ساحل البحر حيث يلتقى وادي الرافدين
برأس الخليج القديم ، يقوم اولئك القوم
بانشاء مدن عديدة في ذلك المنبسط الفسيح:
اور ، اريدو ، لارسا ، لكش ، اوما ، اروك
ونقر وغيرها من اسماء عريقة جدا في القدم
كانت في عهد ازدهارها مدنا عامرة نيرة ،
يعلو كل واحدة منها معبد ثابت الاركان
هو الروح الموجه لسكان المدينة ، ذو صرح
شاهق مدرج يبدو كأنه الوصل بين الارض
والسما .

١ - السومريون في التاريخ :

أمة صغيرة عجيبة ، مجهولة الحساب
والنسب ، قليلة العدد في افرادها ، كثيرة
الابداع في انتاجها تظهر فجأة في افق
التاريخ . فقيم المعابد وتشييد القصور وتختط
المدن ، تحرت الارض وتنشئ الصناعات
وتضع القواعد للتنظيم الاجتماعي . فيتبدل
مجري الحادثات وتكتسب الحياة البشرية
معاني جديدة في الوجود . ويبدأ بمجهودها
الجبار تاريخ الحضارة العالمية (١) .

« مات سومريم » أي أرض او بلاد السومريين وقد ورد
ذلك كثيرا في المصادر البابلية وفي شرائع حورابي
المشهورة . وقد اختلف المؤرخون في أصل التسميتين
وفي العلاقة بينهما ، كما اختلفوا في أصلهم وفي
مهدم .

(١) ان اشتقاق اسم « سومر » لم يثبت فيه . فقد
ورد اسمهم في الكتابات السامرية بصيغة « كي - ان -
كي » او « كي - ان - كر » باللغة السومرية . واطلق
عليهم الساميون في العراق كالاكديين والبابليين
والاشوريين اسم « سومريم » اي السومريين . وسما
القسم الذي استوطنه السومريون في العراق باسم

رحلة الى مواطن الآثار

من ضمن اسوار تلك المدن ، يظهر الفن في الحياة الاجتماعية عنصرا قويا فعلا يوجه حياة المجتمع ويطلع شخصية الافراد بطابعه الخاص . وانه الفن بمظهره كافة : النحت ،

الموسيقى ، التصوير ، الكتابة والانشاء .

وفي ارجاء تلك المعابد والقصور يتلمس

الانسان آفاق النفس البشرية فيستوحىها اصول

التنظيم الاجتماعي فينحت الكلمات الجديدة

لمفاهيم جديدة في التمييز : العدل ، القانون ،

السيادة ، الحق ، الملك ، الفرد ، الجماعة ،

الواجب ، الطاعة ، الجمال : تلك هسى

المفردات الجوامع التي تكون من مجموعها

معجم المعاني للحياة الفكرية . فمنهم من

نحت المفردات ومنهم من سن الشرائع .

كيف تم ذلك ؟

قد يكون لكل مذهب في تفسير

الحادثات . ولكنني ، على كل حال ، لست

من القائلين بأن الارقام المجردة تستطيع

وحتها ان توجد المركبات المعقدة دون

الاستعانة بالقدرة الكامنة في النظام

والاصول والقواعد الخاصة بالتركيب . ان

من ضمن اسوار تلك المدن ، يظهر الفن

في الحياة الاجتماعية عنصرا قويا فعلا يوجه

حياة المجتمع ويطلع شخصية الافراد بطابعه

الخاص . وانه الفن بمظهره كافة : النحت ،

الموسيقى ، التصوير ، الكتابة والانشاء .

من اين أتى ذلك ؟ وكيف استقر ؟

اي انقلاب نفسي هو ذلك الذي تم في

نفوس جماعة قليلة من البشر تمكنوا به من

الارتقاء فجأة على من تقدمهم من العالمين ؟

ان ذلك لحيرة التاريخ . وان تلك الحيرة

لتزداد اتساعا كلما ازداد الباحث اطلاعا على

شؤونهم ومنشأاتهم . فشاهدتهم وهم

يتعبدون بخشوع ومجبة لآلهتهم وقد

جمعت في مسمياتها البديعة التركيب بين

مظاهر الطبيعة والسيادة المتشخصة فلكل

مدينة مجمع من الآلهة يترأسهم اله واحد

هو السيد الاعلى لتلك المدينة .

هنا (انليل Enlil) السيد الهواء ،

وهناك (انكي Enki) السيد العمق ،

وهناك (سن Sin) الاله القمر ! وانظر

الدكتور ناجي الاصيل

اعداد فيثاغورس لا تقوى ان تكون عناصر فعالة في التكوين ما لم ترتبط بها مفاهيم افلاطون ! وما مفاهيم افلاصون الا تعبير بليغ للوفاق العالمي الكائن في طبيعة الخلقة نفسها ، ذلك الوفاق المحتم الذي لا تتكون المفردات الا بموجب سننه ولا تتوحّد الاجزاء الا وفقا لانظمته . فالارتقاء والتكامل سنة الله في خلقه وما حياة الامم والافراد الا وسائط ووسائل بل مراحل في سبيل استظهار الكمال في الوجود عن طريق التعاون الحي مع الانسان .

(٢) ان مشكلة السومريين من حيث اصلهم ولغتهم تعد من الفضايا المعقدة . والسبيل الى حل تلك المشكلة ينحصر في دراسة آثارهم . وكتاباتهم ، ومياكلهم العظيمة دراسة واحدة غير مجزأة . وآثارهم المعروفة في نون ظهور سلالاتهم فمعظمها متصل بطرزه اتصالا وثيقا بآثار ادوار ما قبل التاريخ . فضلا ان صرحهم المدرجة ما هي الا طور راق لمعابد عصر الوركاء (٣٨٠٠ ق . م .) التي شيدت فوق دكة او دكتين او اكبر كعبد العقير المروض نموذجه في المتحف العراقي ، وكذلك شأن كتاباتهم فانه يستطاع ارجاع معظم علاماتها ورموزها الى التصاوير التي ظهرت في عصر الوركاء . واستتبقت في العصر التالي له وهو عصر جمدة نصر ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م . وطرز دورهم شبيه بيوت أهل العبيد (نحو ٤٠٠٠ ق . م .) في الجنوب . وبهذا فان لآثارهم اصلها يمكن تعقيب مراحل تطورها الى اقدم الحضارات المعروفة في العراق وهي حضارة حسونة .

أما لغتهم فقد ذهب العلماء مذاهب شتى في اكتشاف عائلة اللغات التي تنتمي اليها اللغة السومرية . وما ذلك الا للخصائص الفريدة المميزة لها . فان كلماتهم على الغالب تتكون من مقطع واحد . فالأء عندهم « آ » واليد (شو) والرجل (لو) والساء (آن) والارض (كى) وهي بهذا شبيهة باللغة الصينية غير انها تختلف عنها اخلافا اساسيا من حيث ان الفاطها لا تؤدى المعنى ذاته في الصينية . فمثلا لفظة « شو » تعنى في السومرية (يد) ولكنها لا تعنى ذلك في الصينية .

أما مقاييس جسامهم واجسامهم المكتشف عنها في اور والعبيد فقد قال عنها اعظم علماء الانثروبولوجيا السير آر كيث بانها شبيهة شيها يسعو الى الدمشة برؤوس واجسام سكان العراق الحاليين . وهكذا ترى ان ما توصل اليه العلماء لحد الآن لا يمكن لمعرفة أصل السومريين .

لم يكن احد يعرف شيئا عن السومريين قبل قرن واحد ، ولكن التنقيبات الأثرية والآثار النفيسة التي استخرجت من المعابد والقصور التي كانت تضمها التلّول الصامتة والاقبال العظيم على تتبع احوالهم واستقراء انبائهم وربط ذلك بما ورد في التوراة من ذكر للمحادثات التي وقعت لبني اسرائيل في بلاد الكلدانيين وفي مدن السومريين جعلهم اليوم بفضل الكتب المفصلة والنشرات العديدة التي نشرت بصدد آثارهم في

رحلة الى مواطن الآثار

أمة في وادي الرافدين وانهم انشأوا المدن ووضعوا أسس المدينة بالتعاون مع من سبقهم في هذا الوادي ، وقد تركوا آثارهم فيه ، فهم والتاريخ يبدأ في وادي الرافدين .

لقد سكن العراق قبل السومريين اناس عاشوا في اعلى العراق . فمنهم من سكن الكهوف والمغاور من الجبال المحيطة بالسليمانية وحبلة واطرافها وعاش عيشة الصياد الاول يستعمل الحجارة لصيد الحيوانات ويأوى الى الكهوف اتقاء من هو أشد منه بأسا ، وصيانة لنفسه وازواجه واولاده من مؤثرات الطبيعة . وقد كان ذلك في عهد سحيق اى في نحو ٢٠٠٠٠ ق.م . ولا يعرف من ظهر بعدهم من الاقوام . غير انه في نحو الالف السادس ق.م . بدأ اناس آخرون يستوطنون سفوح الجبال ويحراثون الارض وينون المساكن ليأوا اليها ويصنعون الفخار ويستعملون آلات الحجر . وقد كشفت تنقيبات الهيئة التي اوفدها مديرية الآثار القديمة

العامة المؤلفة من المستر سيتون لويد المشاور الفنى والسيد فؤاد سفر الملاحظ الفنى في سنة ٤٣ - ١٩٤٤ عن آثار مستوطن لوحة اجتماعية من هذه الوحدات في تل حسونة . ان التقدم الانساني يسير ببطء في الالاف الاولى من ادوار ما قبل التاريخ . وفي العراق ، ينتقل سير التطور من الشمال الى الجنوب مع تكون التربة الصالحة وجفاف الارض في الوادي الفسيح الذي يتعاون دجلة والفرات وروافدهما التي تصب فيهما في اظهاره في الوجود . وكان السير ليونارد وولى ، البحاث الكبير ومنقب اور وتل العبيد ، قد بعث الحياة عودا على بدء في صورة فكرية لمستوطن من تلك الجماعات في تل العبيد ، وهم اول من سكن جنوبي العراق وترك فيه آثارا تدل عليه .

فأهل العبيد تقدموا السومريين في الانشاء والسكنى كما ان الاكديين والبابليين خلفوهم في الحكم والسيادة وفي الحقيقة ان العبيديين والبابليين هم الذين يفسرون السومريين بقوم منشئين .

ان في قصة المنجل المعروض في القاعة الاولى من معرض التفتيات لسنة ١٩٤٥ ، وما طرأ عليه من تبدل وتطور خلال العصور (اللوحة - ١) ، لبلاغة صامته ترشدنا الى الخطوات الاولى من تقدم الانسان وانتقاله من صياد مجازف متشرد يسير وراء قطعان الحيوانات لاصطيادها الى مزارع هادىء مرتبط بالارض ، مترقب لفصول السنة ومتتبع دارس لطبيعة الاشياء . والآثار التي عثر عليها في تل حسوثة وفي العقير ليست ذات قيمة مادية كبيرة . اذ ما قيمة منجل قوامه شظايا من صوان ثبتت بالقير في اطار من خشب قد بليت اجزأؤه . ولكنه المنجل الاول الذي صنعه الفلاح العراقي الاول في نحو الالف السادس ق . م . وانه لانقلاب عظيم في التقدم البشرى ان صنع الانسان بعد ذلك العهد منجلا من النخار .

ان الآثار الصامته التي يستخرجها المنقبون الآثاريون من مواطنها الاصلية ويستنتقونها عن اصحابها الغابرين لتحديثهم بلسان صدق عن عهود التاريخ المجهولة . ولكن الامر العظيم الذي يبقى سرا مجهولا

ويحتاج الى تأويل وتفسير هو الانقلابات النفسية الجليلة الشأن التي كانت تسبق التطور المادى بل ان تلك التطورات المادية لم تكن الا نتيجة لها .

فما لا شك فيه ان الانسانية الاولى كانت ابنة الطبيعة بمعنى ان الطبيعة كانت هي المسيطرة عليها سيطرة كاملة ، وما تعلمه الانسان الاول بالاختبار لم يكن الا نتيجة لتتبعه سير الشؤون والحادثات المتصلة بها كما كانت تتراءى له من خلال شؤون المفردات . فمفردات الاشياء من حيوان ونبات وجماد والشؤون المختلفة المتصلة بها وحادثات الفصول من الايام من حر وبرد ومطر وجفاف وزوابع وفيضانات وما ينتج عن ذلك كله من انطباع نفسانى لتلك الصور والاشكال والشؤون المختلفة هي التي رافقت الانسانية في سيرها الطويل الشاق على وجه الارض .

وانه لعهد جديد في تاريخ الانسانية ذلك الذى بلغ فيه الانسان الى تشخيص معنى الادراك المجرد والاحساس بما فى نفسه من مصادر الشعور الحى فانقلب من تعدد

الاختبار الى وحدة الفكر وتحول عن تنوع الصور والحادثات الى مفهوم القسرة المسيطرة على الكائنات .

ولكن اين مصدر الشعور والادراك ؟

أفى الارض أم فى السماء ؟ أفى النفس أم فى العالم ؟ ليس فى وسع الآثار ان تحدثنا عن ذلك ، ولكنه من المتوقع كثيرا ان يكون ذلك الانسان الاول العظيم قد رجع الى نفسه ليستلهمها اسرار الوجود . ولعله قد استمع الى اعماق روحه فوق عندئذ اول تخاطب بين الارواح : بين الروح التي فى

الارض والروح الكبرى التي فى السماء . وبذلك بدأت حياة الانسان الروحية فنشأت منها فكرة الدين والتبصر الفلسفى فاكسبت الانسانية افقا جديدا لم يكن له وجود من قبل الا وهو الافق ذو النور الباطنى !

فمن يرفى التكامل الانسانى اثر النور المقدس الالهى ، رب الانسانية الاعلى ، يلهم ويوحى ويبشر وينذر ، يسهل عليه ادراك المعنى من تطورات الانسان فى الزمان وفى المكان ومن تاريخ الانسانية ذلك التاريخ الذى يجمع فى طياته بين النور والظلام .

* * *

ذلك ما كنت أتأمل فيه حينما قررنا القيام برحلة الى مواطن الآثار مبتدئين اولا بجنوبى العراق (راجع خريطة جنوبى العراق المنشورة فى صدر هذا المقال) منشأ الحضارة الاولى . فانسنة المالية على وشك الانتهاء والمخصصات للتنقيب عن الآثار قد وضعت فى ميزانية السنة المقبلة . كان لزاما علينا أن نقوم برحلة الى مواطن الآثار لاستعراض الاماكن الصالحة للتنقيب وانتخاب الانفع منها ، وغرض المديرية العامة الجمع بين ما يخدم توضيح القضايا العلمية التي لا تزال غامضة

والغور على آثار نفيسة جديدة بالعرض فى المتاحف العراقية . فقررنا القيام برحلة الى الالوية الجنوبية لزيارة التلوى والاطلال المنبثة فيها بصحبتنا فيها المستر سيتون لويد المشاور الفنى الذى قضى ١٥ عاما فى التنقيب العلمى عن الآثار والسيد فؤاد سفر الملاحظ الفنى الذى هو والسيد طه باقر امين المتحف العراقى العربيان الوحيدان اللذان اختصا اختصاصا علميا بالآشوريات وقد أصبحت لهما خبرة طيبة فى التنقيب وقد تولى السيد صبرى شكرى مأمور المخزن الاشراف على تأمين أسباب السفر والراحة لهيئتنا .

٢ - بين بفراد وواسط

ثم اجتزنا بالعزيرية وهي على نحو منتصف المسافة بين بغداد والكوت . والعزيرية بلدة محدثة شأنها في ذلك شأن كثير من مدن العراق الجنوبية كالناصرية والصويرة والشطرة . ويظن انها شيدت عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وسميت باسم السلطان عبدالعزيز العثماني ولكنها اتسعت في العشرين سنة الاخيرة لانتشار زراعة القطن هناك ، وفيها شارعان معدان متوازيان تفصل بينهما صفوف من الاشجار وكل ما فيها يدل على انها سائرة في طريق الاتساع والترقي .

ولم نر في طريقنا بعد تركنا العزيرية بلدة اخرى ذات شأن ، ولكن يحتمل كثيرا ان سنستأقري وبلديات بسبب المسكة الحديد الجديدة التي تربط الكوت بعقوبة على دبالى . ولعل أبرز ما استرعانا انصرنا هنا جبال يشتكوه الواقعة في جهة الشرق في أقصى الأفق للناظر مجللة ذراها بالثلوج .

ولما اقتربنا من الكوت مررنا بقري وقصور جديدة هي ملك لشيخ آل ربيعة . والفينسا بالقرب من احدى القرى مدرسة واسعة توسمنا خيرا برويتها .

والكوت مدينة عامرة لطيفة الهواء حسنة الاحتياط ، جميلة رياضها رائعة مناظرها راكبة على ضفة دجلة اليسرى . جاء ذكرها في رحلة ولیم هود سنة ١٨١٧ م فقد شاهد فيها دار مكس وضباطا ومتسلما (٥) . وقد شملتها عناية المصلح الكبير مدحت باشا ، وكانت فيها معركة تاريخية في الحرب العامة الاولى . غير انها ظلت مدينة

(٥) لغة العرب ٨ (١٩٣٠) ص ٤٢ .

وقد بدأنا بسفرتنا من بغداد صباح الاحد الثامن والعشرين شباط سنة ١٩٤٥ واتجهنا الى كوت الامارة بسيارتى مديرتنا مجهزين بكل ما يحتاج اليه المرء في ترحاله ، ثم بلغنا الكوت في الساعة الثانية عشرة بعد ان قطعنا مسافة تقرب من مائتي كيلو متر ، كنا فيها نستطلع المنطقه يسارا ويمينا . ففي مكان فوق سمن بك رأينا انهارا عديدة دارسة هي من بقايا النهروان العظيم ، ذلك النهر الذى كان يستمد من دجلة في موضع قبالة « بيحى » (٢) فيروى حقولا ومروجا وبساتين ممتدة على شرقي دجلة الى مسافات بعيدة ، ثم يعبر نهر العظيم فيقترب من الخالص وثم نهر دبالى حيث كان يسترفند بمائه بالقرب من بلدة « كاسل - بوست » ومنها يتجه النهروان نحو الجنوب الشرقي فيمر باطلال احتساجى التي عثرت فيها البعثة الامريكية على رقيم طينى من حكم الملك « سمسو ايلونا » ابن المشرع العظيم حمورابى ، جاء فيه ان الملك أمر بتنظيف بعض اجزاء « الساروان » أى النهروان (٣) . فالنهر وان اذا كان يسقى اراضى واسعة بين سلمان بك والكوت ، فيله من نهر عظيم عمر قرونا عديدة .

(٣) تفاوتت بعض اجزاء هذا النهر في زمن انشائها ويبدو انه كان كلما توسبت فيه الاربة حول صدره الى الشمال حتى اصبحت فوخته قبالة بيحى .

(٤) راجع

Falkenstein, Zeitschrift fur Assyriologie XLV.

والدجيل اسم لعقيق كانت مياه دجلة تجري فيه منذ ان استولى العرب على وادي الرافدين (١) حتى ما قبل نحو قرنين ونصف القرن من الزمن . غير ان صدر الدجيله واقع الى شمال الدجيل القديم بستة كيلو مترات .

وبعد أن تركنا الدجيله ورائنا كانت حقول الحبوب ممتدة على طرفي طريقنا الى أقصى مدى البصر خضرا يانعة ، وكيف لا تكون كذلك وهي تبت في أخصب بقاع العراق وتروى بوافر ماء الغراف .

٣- واسط الحجاج

وبعد أن طوينا مسافة سبعين كيلومترا من الكوت وابتعدنا عن نهاية الزروع ظهرت لنا في أقصى الأفق بناية تفتسل باشعة الغروب كأنها سارية وسط بحر من الرمال ، وما هذه السارية الا بناية المنارة ، وما هي الا الامر الوحيد الذي لم يزل شاخصا شامخا من بين مئات القصور والوف الدور التي اشتهرت بها واسط . وهكذا لم يبق من واسط وقد عاشت الف سنة بكماه سوى باب قائم لمزار لم يكن الا واحدا من عشرات المزارات والمساجد الجوامع والمدارس . وهكذا ماتت بلدة كان اهلها اكثر من سكان البصرة الحاضرة عددا ، بتبديل دجله مجراه من شط الدجيل الى شط العمارة . ان طغيان الرافدين لعامل قوى يبعث على قلق النفس وعدم استقرارها ، فمئذ تفككت عرى

صغيرة خاملة بقياسها بغيرها من المدن حتى شرع في انشاء مصنعها (سدتها) المشهورة ذات النواظم الحديد ، فأخذ نجمها يتألق وعمرائها يتسع وسدتها هذه آية من آيات العلم والصناعة ، وابلغ ما دبت اليه في العراق حضارة القرن العشرين ومدى ما توغلت فيه سيطرة الانسان على قوى الطبيعة في هذا القطر . فلقد ظل الرافدان أجيالا وقرونا عديدة يطغيان . أما فيضانها الضعيف فقد جعل من هذه الديار جنان عدن فيها كل ما تأقت اليه الروح واشتهته النفس ، على حين أحدث فيضانها الواسع خرابا ودمارا فمادت مدن كانت زاوية عامرة واندثرت قرى كانت غنا بحقولها وبساتينها الالفاف . وما قصة الطوفان السومرية الا خيال رائع لصورة تكونت من طوفانات عديدة . غير ان ماء الفرات قد حجز بسدة الهندية في سنة ١٩١٣ م وماء دجلة بسدة الكوت في سنة ١٩٣٩ ، وكان من ثمار السدة الاولى ان ارويت اراضي الحلة والديوانية ، ومن نتاج السدة الثانية ان اتبعثت ارض واسعة من الجزيرة بين دجلة والفرات تانية الى الزهو والاخضرار .

وبعد قضاء ساعتين في الكوت توجهنا شطر واسط سالكين طريق الحى اولا ، ثم قبيل الحى انعطفت الطريق بنا شرقا نحو خرائب المنارة ، وحاذينا في البدء نهر الدجيله الجديد فكنا برؤيته نستبشر خيرا فلقد خبرنا ان الماء اجرى فيه قبل اربعة أيام وان اراضيه ستوزع على عدد أكبر من الفلاحين . ولكل من الدجيله والغراف ناظم خاص به كلاهما يعد من فروع مشروع سدة الكوت .

(٦) راجع كتاب الخراج لتداه بن جعفر ص ٢٤٠ فيه وصف لبثوق دجلة العظيمة التي حدث اعظمها في السنة السادسة للهجرة .

المملكة العباسية قل الاعناء بالسناد والجواجر ، فكانت بثوق عظيمة هنا وهناك لم يقو على سكرها ، فتشتت على أثرها سكان جنوبي العراق وبقوا حتى القرن العشرين يكافحون تلك البثوق بوسائلهم الضعيفة ، ولكن من دون جدوى في الغالب فلهم من مرة اضطروا أن يترجوا عن بيوتهم وحقولهم لينجوا من الموت وما فتئوا على تلكم الحال يكافحون هذين النهرين حتى وزم مؤهما بسدتي الهندية والكوت .

وكانت واسط وسط المصريين : الكوفة والبصرة ، فكانت بهذا ذات مركز سوقى عسكري لها اسمى منزلة في النصف الشرقي من دولة بني أمية تأتينا الرسل والوفود من السند وخراسان في الشرق وتخرج منها الهدايا والتقارير الى الشام في القرب . وما زالت على هذه المنزلة المرقومة حتى شيد آل العباس بغداد فأصبحت واسط حينذاك ثابته مدن العراق ، غير انها كانت دوما من اعنى مدنها فكل من رآها وذكرها من المؤرخين والكتاب الاقدمين وصفها بوفرة البساتين والحدائق ، وبسعة العمارة وانتشار العلم بين اهلها . وقد زارها ابن بطوطة (١٢) في أوائل القرن الثامن للهجرة وذكر فيها مدرسة ذات ثلاثمائة حجرة لطلاب ، وان الكبار من اهلها يحفظ القرآن عن ظهر قلبه . وظل هذا شأنها حتى أخذت مياه دجلة تغير مجراها الى سف العمارة وأخذ عندئذ نجمها يأول حتى اختفى تماما بحضف النهر جفافا كاملا في أواخر القرن الحادى عشر للهجرة .

وشاهدنا ما كشفت عنه مديرتنا من مبانيها وحققنا البحث ثابته عن جامع الحجاج وقصره المدين عثرت على بقاياهما في سنة ١٩٤٢ (١٣)

(١٠) تاريخ واسط لبخشل ص ١٠

(١١) تاريخ اواسط لبخشل ص ١١

(١٢) رحلة ابن بطوطة ، الجزء ٢ ص ٢ - ٣

(١٣) ان نتائج التفتيات التي توصلت اليها الهيئة التي اولتها مديرية الآثار النجبية العامة تطبع الآن بمصر في كتاب عنوانه « واسط »

واقعتا يومين كاملين في واسط . واضلال هذه المدينة الدارسة واسعة مترامية الاطراف ممتدة على جنبى نهر الدجيل ، يعلو الركاب فيها احيانا بارتفاع خمسة عشر مترا ، جل انقاضها حجر وحطامه واوانى فخار وزخرف وشقفها وقناني واقجاج من زجاج بشلى الانوان وكسرها . وفي الشطر الغربى من الانقاض كشف عن بقايا جامع الحجاج بن يوسف الثقفى وقصره . فاذا ذكرت واسط ذكر الحجاج معها واذا ذكر الحجاج ذكر قصره معه ، وقد كان لقصره فيه حضراء سامقة تبرى من مسافة سبعة فراسخ (٧) (٣٥ كيلو مترا) ، عثرت حتى منتصف القرن الرابع للهجرة (٨) . وشيد الحجاج بجوار قصره مسجدا جامع وصفه المقدسى (٩) في منتصف القرن الرابع للهجرة بانه أشعث عامر بالقرآن . وحوط الحجاج مدينته

(٧) الاعلاق النبوية لابن رسة ص ١٨٧ ، وكتاب الخراج لقتادة بن جعفر ص ١٩٤

(٨) روج الذهب للمسعودى الجزء ٦ ص ١٧١

(٩) احسن التفاضل للمقدسى ص ١١٨

ولقد استطلعنا خرائب المدينة خير استطلاع فقطعنا اطلالها طولا واخرقناها عرضا ودرنا حولها ، فما كان أعظم دهشنا بسعتها وايقاننا بأن ما نهب فيها ماهو الا جزء ضئيل منها غير ان مديرتنا كتبت فيها عن أهم ما في خرائبها وهي مبانيها ، وهذه ايضا لم يبق منها سوى اسمها وذلك لان الخلف استخرجوا الأجر من مباني السلف واستعملوه في عماراتهم . فبما ليتهم اعتنوا بمسجدها الجامع وتركوه لنا مع اساطينه المزخرفة ، وبما ليتهم لم يعشوا بقصرها ويقوضوه حتى اسسه . ان البناء خير ناطق بمجد عصره واحسن باعث على العمل والجد ، واعظم عامل في استقرار النفوس واطمئنانها وابلغ اثر تحوم حوله تجارب الماضي وفضائله . لقد شيد السومريون صروحهم المدرجة ومنها صرح اور ونفر واريدو فكان الفرد منهم عندما يستظل بهذه الصروح تستكن نفسه فيستلهم الماضي عزما على اختطاط المستقبل .

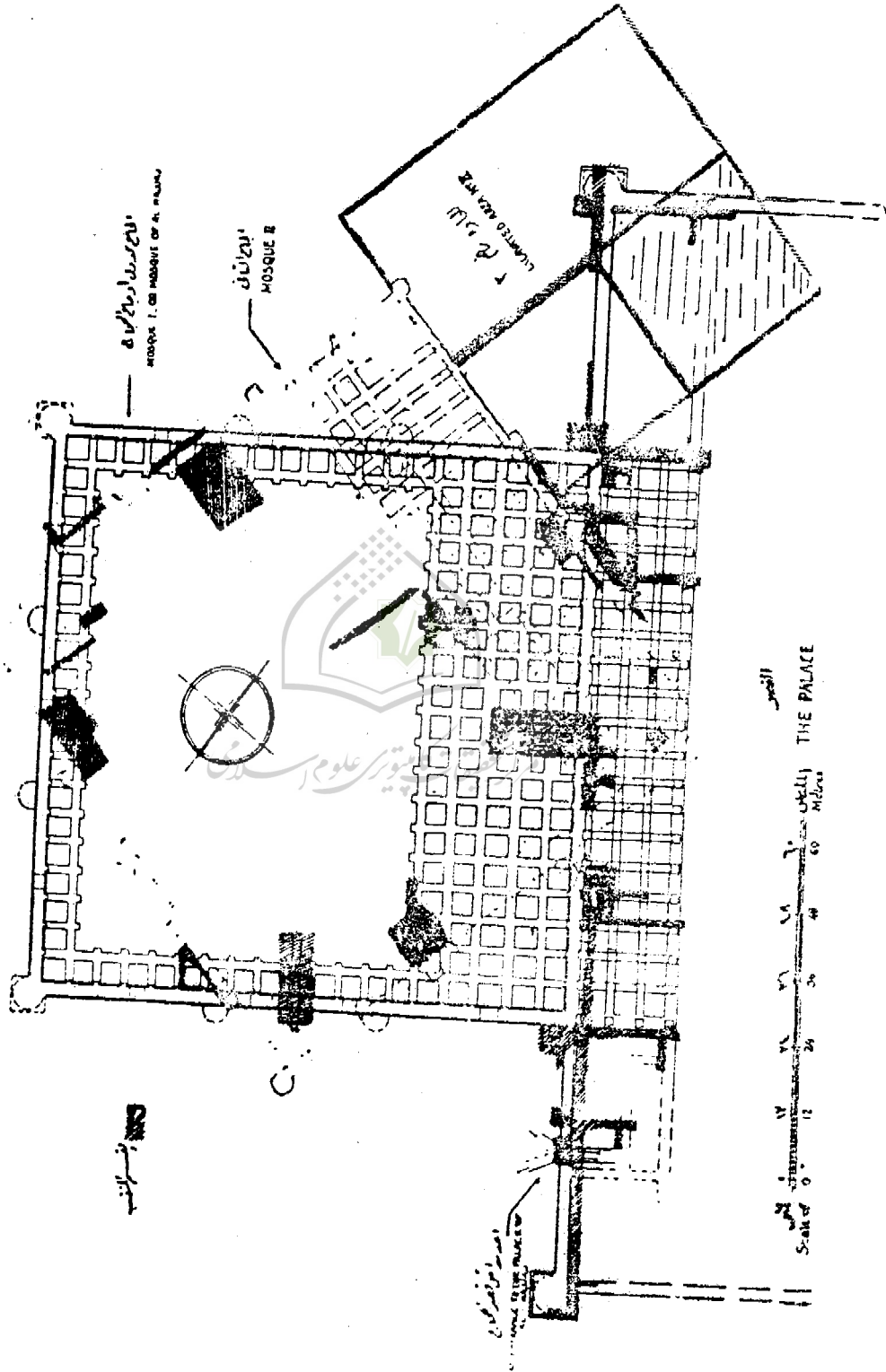
وكانت لبنايا الثلاث في واسط من الذليلي ، فبناية دائرتنا فيها المشيدة باسسط مواد الانشاء ، حوت من وسائل الراحة ايسرها نوعا . ان هذه البناية شيدت على طراز حديث وجعلت حجرات منها مأوى للمعتمدين واخرى لحفظ الآثار وتنظيفها ورسمها ، وحجرة وهي كبراهما للاجتماع والبحث والسر ، وفي هذه الحجرة الواسعة كنا نبحت في حضارات الماضي البعيد ونقياسها بالحياة والانظمة التي استتبت في العراق في قرونه الثلاثة الاخيرة . ان للفرد تأثيرا في المجتمع ، فكم قائد مصلح قوم اعوجاج مجتمعه وكم مرشد عادل أتقذ أمته من اخطار اجتماعية محدقة بها فنظم شؤونها

(الشكل - ١) ، وكان متظرا ان لا تجد منهما الا الاسس والاساطين وبقايا بعض الجدران وكانت كافية في الاستدلال بها على ابعاد الجامع وعدد بلاطته واروقته . فالذي شاهدناه جامع مربع الشكل ذرعه 103×103 أمتار ، وجدرانه ضخمة تناهز ثخانتها مترين ونصف متر ، مشيدة بجص وبتآجر أصفر صلب منتظم الجوانب ، وفي حرم الجامع خمس بلاطات يتألف كل منها من تسعة عشر رواقا وفي مؤخره بلاطة فيها تسعة عشر رواقا ، وفي كل من جانبيه بلاطة واحدة فيها ثلاثة عشر رواقا . ويلاصق الجمع في جانبه القبلي قصر الحجاج الذي كشف عن نحو عشره فقط بواسطة انفاق غائرة داخل الانقاض بعمق ثمانية أمتار . وهاتان البنايتان : الجامع والقصر ، تتفقان كل الانفاق وما جاء من اوصافهما في المصادر العربية .

وشاهدنا في الشطر الشرقي من انقاض المدينة بناية المنارة التي انجز الحفر فيها ، وهي بناية يكاد شكلها يكون مستطيلا ، فيها ضريحين وسط حجرة واسعة ثمانية الجدران يظن ان كانت فوقها قبة شامخة . ولهذه البناية باب واسع على جانبيه منارتان مزينتان بزخارف الأجر المختلفة (اللوح - ٢) ولم يزل هذا الباب الضخم وبقايا المنارتين قائمة وهي ما ظهر لنا من خرائب واسط عند أول اقترابنا من واسط . وقد عرفت المدينة بالمنارة ، نسبة الى هذا البناء القائم وحاولنا ان نبحت عن سور المدينة ولكن محاولتنا كانت بلا جدوى ، غير اننا كشفنا عن بقايا جسر في عقيق دجلة يعود تاريخه الى الادوار المتأخرة لواسط .

مخطط بين مواقع المسجدين في الجاهليين والفاصر

GROUND PLANS OF MOSQUES I & II AND THE PALACE.



(الشكل - ١) - جامع الحجاج وقصره في واسط

وذكرنا توزيع اراضي الدجيلة على الملاحين
بمأثرة اخرى لحمورابي فقد جاء في شرائعه :-

المادة ٣٣ : « اذا سمح رئيس في الجيش
بهروب جندي منه وقبل جنديا مستأجرا ليجاهد
مكان الجندي فان ذلك الرئيس يعدم . »

المادة ٣٤ : كل ضابط يقتصب ملكية جندي
او يؤذيه او يؤجره او يمنع عنه عطية وهبتها له
الملك فانه يعدم .

المادة ٣٥ : من اشترى ماشية او اغناما وهبتها
ملك لجندي فقد تقوده .

المادة ٣٦ : لا يجوز ان يباع بفضة على حدة
حقل ولا منزل جندي ولا مقتطع .

المادة ٣٧ : من اشترى شيئا مما تقدم فسخ
عقده وفقد تقوده ورد المبيع الى صاحبه . (١٥)
وهكذا شاء حمورابي ان يعطي الجندي
حقلا ويملكه دارا واغناما مشروطا عليه الا يبيعها
وهكذا كان يعاقب بالموت - وان كان العقاب
صارما - كل ضابط حاول ان يخلص فردا من
الجنودية .

واستكشفنا في اليوم الثاني السهل الواقع
شرق واسط فمرت سيارتنا بأقبنة واسعة عديدة
كانت تستمد ماءها من مجرى دجلة العباسي ،
ووصلنا اخيرا الى « تل المحكان » الذي يعود زمن
الآثار المبشرة فوق سطحه الى العهد الايلخاني
اي نحو القرن الثامن للهجرة وشاهدنا من ذروة
هذا التل مستنقعا واسعا يعرف بهور السنية يمتد
غربي دجلة الى مدى البصر شمالا وشرقا وجنوبا
منا ، قيل لنا ان اعاليه اطراف على الغربي وذبوله
قرب القرنة .

(١٥) مجلة القضاء سنة ١٩٣٧ ترجمة عبده

حسن الزيات .

وسهل امورها . فهذا حمورابي في التاريخ جمع
بين كل ما يتصوره الانسان من الفضائل والمزايا ،
فقد أتصف بشجاعة البداوة وأقدامها ونوف ذهنيا ،
وتحلى بعلم الحضرة ودهاء المدن ، وهذه السجاييا
السامية امتزجت فيه وانسجمت . فلما استتب له
الملك في نحو ١٨٠٠ ق . م . رأى العدل خير
وسيلة لتوطيد دعائم مملكته ، وكانت الرشوة قبل
ذاك من جملة ما ينخر جسم أمته من الشرور ،
فسعى سعيا حثيثا في نشر العدل فامتأصل عيبا
قد كابد مثله اجدادنا المتأخرون في القرون الثلاثة
الاخيرة . فما تساهل فيه سلفنا القريب لم يغض
الطرف عنه سلفنا البعيد حمورابي قبل اربعة
آلاف سنة . وقد جاء في احدي رسائله ما يأتي :-
« يقول حمورابي لسن - ادنم (عامله في
مدينة لارسا في جنوبي العراق) .

« لقد ادعى - شمان لا ايلم - بأن ارتشاء
حدث في دور كركرلي . اقبض حالا على
المأمورين المرتشين وعلى الشهود الذين لهم علم
بذلك الارتشاء . واني مرسل اليك - شمان لا
ايلم - وشرطين ، فعند قراءة هذه الرسالة بادر
حالا الى تحقيق الحادثة . واذا بدا لك ان ارتشاء
حدث ، فاحتم الفضة وغيرها من مواد الارتشاء
وأبعث بها الى . وارسل الى ايضا المأمورين
المرتشين وشهود الدعوى الذين يخبرك بهم -
شمان لا ايلم » (١٤) .

(١٤) هذه رسالة بعث بها حمورابي من بابل
الى مدينة لارسا على اثر شكوى احد سكان بلدة « دور
كركرلي » القريبة من مدينة لارسا والمسافة بين لارسا
وبابل مائتا كيلومتر . راجع

Buried Empires by Patrick Carleton

الدكتور ناجي الاصيل

٤ - بين واسط والناصرية

وبلدة الشطرة مركز قضاء لم نر منها لشيء
الوقت سوى شارع مضاعف مضاعف بضوء الكهرباء
والمسافة بينها وبين قلعة سكر ستون كيلومترا ،
وكان على جانبي الطريق اليها جداول وخلجان
رأينا فيها وحوالها طيوراً شتى الانواع ، تمكنا ان
نميز من بينها البط المعروف بالخضيري والغرائق
والبيجع والدراج .

وأخذت السماء تمطر علينا فأسرعنا وطوبنا
الاربعة كيلومترا الباقية من طريقنا فبلغنا
الناصرية - كما اوأمانا اليه آنفا - وانتهينا اليها
ساعة بعد الغروب . وكنا نسير طوال ذلك اليوم
وشط الغراف الذي ، ان جاز لنا ان ندعو ماء
ديالى بريح افواكه ، جواز لنا ان ندعو بريح
الجنوب ، فلتد من الله على العراق فيما أنعم به
عليه بنهرين خالدين ديالى الساري في عروق
الاشجار والغراف الساري في قصبات الاعشاب
والجنوب .

والناصرية بلدة محدثة تقوم على ضفة الفرات
اليسرى وهي مركز لواء المتفك ، أسسها ناصر
باشا السعدون سنة ١٢٨٦ هـ لتكون مركزا للحركات
العثمانية الادارية ، وأحضر لاختطاطها مهندسا
بلجيكي اسمه ميو « جول تلي » وذلك في عهد
ولاية مدحت باشا للعراق ، فجاءت من أحسن مدن
العراق تخطيطا . وقوام خطتها شوارع متقاطعة
متعامدة ورياض صغيرة موزعة بتناسق وانتظام في
ارجاء المدينة ويحيط بالمدينة هور « ابو قداحة »
الذي لم يزل يندرها بالفرق وخشي عليها منه (١٦) .

وفي صباح يوم ٢٨-٢-٤٥ تركنا واسط
وفينا شوق للبقاء مدة أطول مما لبثنا فيها . وأردنا
الوصول الى الناصرية في اليوم عينه على ان
نحاول ، ان تيسر الوقت وسهت الوسائط ، ان
نزور مدينة لكش السومرية المعروفة الآن بـ
« تلو » وهي على بعد يسير من قبالة الشطرة ،
ومدينة « اما » المعروفة اليوم بـ « تل جوحه »
وعلى بعد خمسين كيلومترا من قلعة سكر الى
الجنوب الغربي منها . غير اننا لم نستطع اللبث
لطول المسافة التي نوبنا قطعها ، وقدرها مائتا
كيلومتر ، اربعون منها بين واسط والحي ،
ولوغورة السبل المؤدية الى المدينتين الدراستين ،
لكش واما (راجع الخريطة المشورة صدر هذا
المقال) .

وبلدة الحي مركز قضاء راكبة على ضفة
الغراف اليسرى ، فيها عمران حديث وبساتين
وعدة رياض ، وسوقها عامرة يباع فيها انواع
الجنوب وبسط جميلة من حياكة اهلها ، وسكانها
أهل زراعة وفلاحة . فقد احبت سدة الكون
وناظم الغراف اراضيها فامتد زرعها عشرات
الكيلومترات بعد ان كانت ضيقة عند الضفاف
واضرافها .

وبعد مسيرة خمسين كيلومترا اخرى
وصلنا الى قلعة سكر ، فأبناها أقل شأنًا من
الحي ، وعندها عبرنا الغراف ميممين بلدة الشطرة .
وكان الطريق وسط الزروع فسرنا فيه حتى وصلنا
الى مكان يقال له البدعة ، فيه ناظم يقسم الغراف الى
جدولين الغربي منهما يروي اراضي الشطرة .

رحلة الى مواطن الآثار

٥ - الطريق السومرية

تاريخها الى حدود ٤٠٠٠ ق. م. ، وقد عاش
اهلها على الفلاحة والزراعة فخلقوا الوفا من
مناجل فخار ترى فوق بقايا اكواخهم ودور
سكنهم مبشرة اجزاؤها مع كسرات آيتهم المصنوعة
من فخار ايضا ، أخضر مزين برسوم باللون الاسود
(الشكل ٢) .

(٢) وخرائب معابد منسى بعضها بالحجارة
بخلاف الحضرة « المواد الانشائية » المستخدمة في
المدن السومرية الاخرى ، شيدت في ادوار ما قبل
التاريخ على انقاض البلدة العبيدية .

(٣) وعلى خرائب تلك المعابد في الجزء
الشمالي الغربي منها بقايا صرح مدرج تشبه بصرح
عقرفوف واور وغيرهما ، مشيدة جوانبه بأجر
رأب . التقطنا منه مختوما باللغة السومرية وخطها
يختم « بورسن » احد ملوك سلالة اور الثالثة

(بحو ٢٣٠٠ ق. م.) (١٧) . وزوايا هذا الصرح
متجهة الى الجهات الاربع ، ومرافق درجه الثلاث
مبلطة بالحجارة . ويظهر من وصفنا هذا لبقايا
اريدو انها كانت منذ اقدم الادوار المعروفة في
جنوبي العراق ، بلدة صغيرة يقطنها فلاحون ،
تمتد زروعهم الى مسافات على شرم من خليج ،
ولها معبد وهو مثابة لهم في مناسكهم وتألهم

(١٧) انظر ختم بورسن على الآجر في اللوح
التقابل لصفحة ٣١٠ في Sumer and Akked

وقراءة ذلك الختم في كتاب

Barton, The Royal Inscriptions of
Sumer & Akked p. 289.

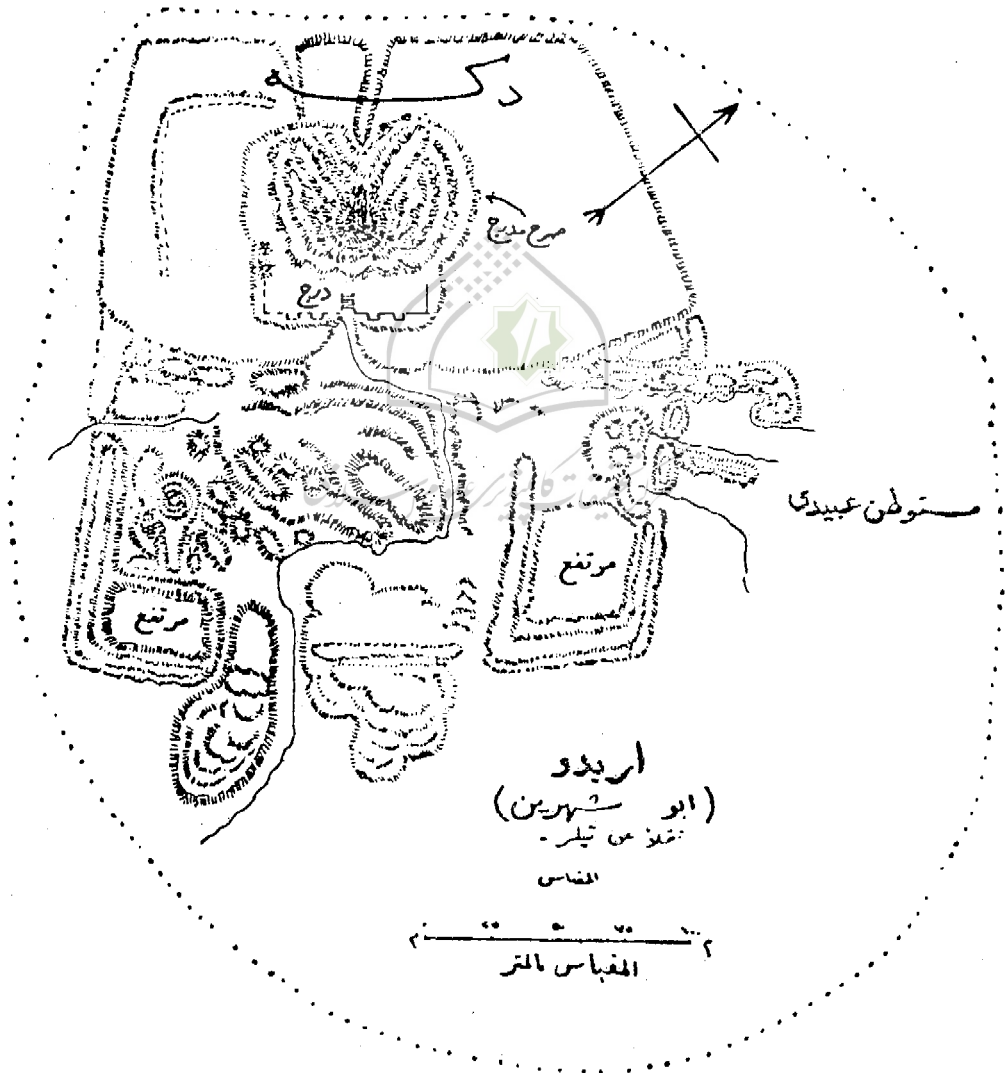
وخرجنا في صباح اليوم التالي لزيارة موطنى
الآثار ، اور واريديو ، وانعطف بنا الطريق عند
اطلال اور بعد ان سرنا مسافة ستة عشر كيلومترا
الى جهة الغرب فأخذنا عندئذ نستطلع طريقا لسيارتنا
وسط خمائل الازهار . وكما كان الربيع في هذه
السنة متاهيا في عظوره وزهوره ، كان كذلك هذا
اليوم بالغنا متناه في رقة هوائه وخفة نسيمه .
واول ما بدا لنا في الافق خط طويل من نشز من
الارض قال لنا دليلنا اننا عنده نستطيع ان نرى تل
ابو شهرين « اريدو » وضح بعدئذ ما قال .
وأخذت السيارة تظا ارضا تربتها فاتحة مقطاة
باصداف الحيوانات المائية المختلفة ، وسرعان ما
وجدنا أنفسنا فوق ذلك النشز ، على حافة تطل على
مطمئن من الارض . ولما أرسلنا النظر امامنا بدا
تل ابو شهرين بعيدا عنا متواريا وراء غيوم منخفضة
من الاعاصير ، فبا منظره من ذى روعة وجلال .
أ - اريدو : ثم اتخذنا سبيلا في ارض
مطمئنة وقد كانت تلك الارض في العصور
السومرية شرما من خليج البصرة ، تقع مدينة
اريدو السومرية على شاطئه الغربي حيث تبدىء
هضبة جزيرة العرب . وبعد ان عبرنا قاع ذلك
الخليج - وعرضه ستة كيلومترات - وصلنا الى
موضع كان يعتبر عند السومريين حرما وعتبات
مقدسة .

وفي هذا الموقع الاثارى : (١) بلدة من دور
العبيد أقدم الادوار في جنوبي العراق ويعود

وسيرتهم الاجتماعية • ثم اقتصر امرها على معبد منذ عصر الوركاء ، اى فى نحو ٣٨٠٠ ق م • ، حتى فقد السومريون سلطانهم السياسى ، ولم يكن يسكن فيها سوى سدنة ذلك المعبد ومن وقت حياته على خدمة الاله •

واعتنى السومريون بمعبد هذه المدينة اعتناء عظيما لانه كان بيت انكى « Enki » آله العمق

ومالك الوحي ، وملهم العرافين • فالى هذا المعبد حج الملك « اورنانشى » Ur—Nanshe فى نحو ٢٦٠٠ ق • • من عاصمته لكش ومعه أنفس الهدايا متزلفا بها الى أنكى متضرعا اليه ان يلوح قصته التقيية وهى عضا سحره ليكون الملك بذلك موقفا فى تجديد بناء معبد فى لكش اسمه « اى - نانا



(الشكل ٢) - تخطيط الكسور لمدينة أريدو

انقضت المدينة ، يستشعر الناظر فيها بهية تستولى عليه لا تضاهيها الا هبة مشهد الصرح . غير انها فراغ غث في جوف الارض وليست جسما شامخا الى السماء . وبهذه الهوة سبر السر ليووارد وولى طبقات المدينة المتعاقبة ، ووجد فيها فوق انقاض من دور العينة طبقة من رمل مترسب بنتيجة فيضان عظيم (اللوحة - ٤) غمر المدينة جميعها في نحو ٤٠٠٠ ق.م . ثم تبين له بعدئذ ان هذا الفيضان لا يمكن عدة الطوفان السومري المدونة اوصافه وحوادثه في ملحمة كلكامش .

وبجوار هذه الهوة حفرة واسعة ، في قرارها بقايا اقية (النوحان - ٥ و ٦) هي كل ما تمكنا ان نشاهده من المقبرة الملوكة التي وجد فيها أنفس الآثار وانماها . وما الخنجر الذهب والقيشارة والكؤوس الذهب والقلائد المصنوعة خزراتها من الاحجار الكريمة وغيرها من الآثار المعروضة في الغرفة الثانية في متحفنا الا جزء مما زوده السومريون موتاهم في هذه الاقية .

وبجوار المقبرة سراديب واسعة تحت ابنية مشيدة بالآجر كانت مقبرة لملوك سلالة اور الثالثة التي استأله ملوكها أنفسهم في حياتهم ، فسيء كل منهم قسما من هذه السراديب ، ليدفن فيه ولتقدم له القرابين والتذوق .

ويشاهد هنا وهناك جدران قائمة هي كل ما بقي من معابد المدينة وقصورها عمرت اربعة آلاف سنة كانت خاتمها في حكم السلالة الكيانية في العراق . وتدل المتارب العديدة والحفر الواسعة

E-Ninna « اي (دار السيدة) (١٨) . وبني « Entemena » ملك آخر من ملوك مدينة لكش ، حوضا واسعا في اريدو ، لعاه كان مطهرة يغتسل فيها من يحج بيت الاله انكي (١٩) . وخص شولكي ، احد المشاهير من ملوك اور هذا المعبد بعنايته ، وكذلك فعل « بورسن » و « جميل - سن » من بعده .

ب - اور : وبعد ان طقنا في موطن الآثار هذا ، واستوفينا دراسة ارجائه وتفحص الآثار المتبثرة في ارضه ، اتجهنا صوب مدينة اور حيث حفر المنقبون اعواما بخلاف اريدو التي لبعدها عن مواطن السكنى الحالية ولعدم الماء بالقرب منها ، قدم المنقبون غيرها عليها في التنقيب (٢٠) .

ويستحوذ على مخينة الزائر لمدينة اور مشهد صرحها المدرج (النوح - ٣) الذي يراه الرائي من مسافات بعيدة عنها . وهذا الصرح كتلة صلبة من اللبن مغلقة من جميع اطرافها بجدران ضخمة مشيدة بالآجر والقير . ولكثرة القير المستعمل في مبانيها ، ملاطا ملصقا ، تعرف المدينة الآن بتل المقير .

وعلى مسافة يسيرة من هذا الصرح في الجنوب الشرقي منه هوة واسعة غائرة في اعماق

١٨ Sumer and Akked by King P. 107.

١٩ Sumer and Akked by King P. 167.

(٢٠) هذا اذا استثنينا الخنادق الصغيرة التي حفرها المستر كامبل طومسن سنة ١٩١٩ . راجع تقريره لتناج الحفر في

Archaeologia vol. LXX, p. 101-144.

٦ - بين الناصرية والكوفة

وغادرتنا الناصرية صباح يوم ٣-٣-١٩٤٥ متوجهين الى الديوانية واعتزنا المبيت فيها . ومررنا في طريقنا بمخفر شرطة الخضر ، وهو بالقرب من ضفة الفرات اليمنى على بعد ستة وثمانين كيلومترا الى شمال الناصرية ، ومن بعده بمسافة ثلاثة وثلاثين كيلومترا عبرنا الفرات على جسر باب من الخشب ، يربط بين شطري بلدة السماوة ، في نقطة قريبة من التقاء فروع الفرات المتنوعة .

ووصلنا الى الرميثة بعد ان طوينا مسافة ثمانية وعشرين كيلومترا اخرى واتجهنا منها الى الديوانية التي تبعد عن الرميثة بسبعين كيلومترا ، وفي منتصف الطريق شاهدنا عن بعد مزار الحمزة . ومدينة الديوانية مركز لواء عامر بسكانه وزروعه وبساتينه أخذ عمرانه يتسارع في النمو منذ ربطت البصرة ببغداد بخط حديد .

وفي صباح يوم ٤-٣-١٩٤٥ يمينا شطر كربلاء واجتازنا في طريقنا بلدة الشامية ، وأبى صخير والكوفة والتجف .

والشامية بلدة متوسطة العمران أسست في زمن السلطان عبدالحميد قبل نحو من خمسين سنة . وهي مشهورة بزراعة الرز الفاخر النوع . وهي في مغرب الديوانية على نحو ثمانية وثلاثين كيلومترا منها . وقد شاهدنا في احدى الخنجان سربا من الغرائق (Flamingo) وهو نادر الوجود في العراق .

وكنوز الآثار المعروضة الآن في المتحف العراقي ومتحفى لندن وفيلادلفيا ، على المجهود العظيم الذي بذله السير ليونارد وولي في تقيياته مدة اثني عشر عاما كانت نهايتها في سنة ١٩٣٤ .

ج - تل العبيد : وزرنا في اليوم التالي تل العبيد الواقع في غربي اور على مسافة اثني عشر كيلومترا منها وشاهدنا بقايا معبده وقد كانت جبهة هذا المعبد مزينة بصور حيوانية مصنوعة من النحاس وان قسما منها معروض الآن في متحفنا . وعثر في احدى زوايا هذا المعبد على رقيم حجر جاء فيه اسم الملك اى - اتي - بدا E-ami padda

احد ملوك سلالة اور الاولى التي حكمت في صدر الالف الثالث قبل الميلاد ، وزالت باكتشاف هذا الرقيم شكوك العلماء في حكم هذا الملك الوارد اسمه في قوائم الملوك السومرية . ومما يحسن بنا بينه عنا ان المستر - بيون لويد أحسن وهو يقب في تل الاجرب بوجود سور بيضوى الشكل يحيط بمعبد العبيد استنادا منه الى مشابهة ريازة هذا المعبد لمعبد مدينة الخفاجي ، فشد الرحيل ومنه المستر دو كس الى تل العبيد وبعد تنقيب خمسة ايام كشف عن ذلك السور .

وهذا الموقع شهير ايضا فباسمه تعرف صناعة نوع من فخار اخضر مزين برسوم سود وكذلك عصرها (البوچ - ٧) . فبعد ان أقر جميع العلماء الآثاريين في لندن في هولندا سنة ١٩٣٢ هذه التسمية ، صادرت كل صناعة شبيهة باواني العبيد تعرف باسم « العبيد » منذ تلك السنة ، سواء في ذلك ما كشف منها في اعلى العراق وما كشف في جوبيه .

العقود التي في الضلع الجنوبي رواق طويل هو مشهد الامام علي . ويلاحظ في صحن الجامع منفذ لسرداب يعرف باسم السفينة والتنور ، ومدخل لسرداب ثان يعرف باسم بيت الطشت . وفي الجهة القبيلة خارج الجامع خنادق عديدة تبعت بواسطتها مديرتنا جدران قصر الامارة الذي شيده سعد بن ابي وقاص (٢٢) . والمسافة بين الكوفة و ابي صخير ثمانية عشر كيلومترا .

وعلى مسافة احد عشر كيلومترا في غرب الكوفة تقع مدينة النجف ، وفيها مسجد واسع يؤمه الوف الزوار في كل عام ، ويسمى الملايين من سكان العراق وايران ان يدفنوا موتاهم بالقرب منه . والنجف واسعة يبلغ عدد نفوسها ستين الفا ، اشتهر اهلها بالادب والفقہ وفيها مدارس تضاوى الجامع الازهر . والحركة في النجف واسعة يربطها بالكوفة سكة حديد تجرى فوقها عربات « ترام » تسحبها خيول .

٧- الخورتنى والاقصر

وبين هذه المدينة و ابي صخير على حافة مسناة مشرفة على ارض مطمئة تقع بقايا الخورتنى قصر المناذرة الذي ردد الشعراء اجيالا عديدة اسمه وخلد المؤرخون ذكره . واستطعنا ان نتبع اسس هذا القصر بأن قسنا سلحة مربعة منه يحيط بها جدران مدعمة بابراج مستديرة فالقنا طول ضلعها خمسين مترا وتفحصنا كسرات الفخار المبصرة عليه

(٢٢) راجع نشرة مديرية الآثار « مسجد

الكوفة »

وبعد مسير خمسة عشر كيلومترا اخرى عبرنا فرع الفرات الغربى الى مركز قضاء ابي صخير وهناك لاحظنا تدلا في التربة . فبعد ان كانت جميع الاراضى التي وطأناها منذ تركنا بغداد وسوية طينية ، كانت في ابي صخير حجارة رميلة .

وزرنا الحيرة وهى بالقرب من ابي صخير وأسفنا على اننا لم نر فيها سوى تل عليه بناية غير اثارية تدعى بالقصر الابيض . والحيرة مقمر المناذرة ، وهى مترامية الاطراف كانت فى اول تأسيسها بعيدة عن الفرات ثم اقتربت تدريجيا منه ، ولضيق الوقت لم يكن فى مقدورنا ان نزور أماكن تقييات المستر رايتلنجر (٢١) لبعدها عن الحيرة الحاضرة .

ثم توجهنا الى الكوفة فدخلنا فى منطقة يقدسها المسلمون لما جرى فيها من اروع الحوادث ، ويجلها الغربيون ويرون منتهى ما وصل اليه الفن الاسلامى فى مشهد جوامعها ومزاراتها . ومسجد الكوفة من أقدم المساجد التى أسست فى اوائل عهد الاسلام عقب الفتوحات الاولى فى القرن الاول للهجرة (اللوحة - ٨) . ويتصل به من جهتيه الغربية والشرقية ساحتان محفوفتان بحجر واواين ، الغربية منهما تعود الى خان حديث معد لنزول الزوار ، والشرقية تعرف ببيت مسلم بن عقيل فهى أقدم عهدا من الخان ويحيط بصحن المسجد من جميع جهاته صف واحد من العقود ، وخلف

(٢١) ولقد نشر نتائج اعماله فى

Ars Islamica vol I. p. 51-73

وهذا القصر من مباني العراق القديمة القليلة التي حافظت بقاياها على اسمها فلم تدع كالكثير من غيرها ان يمحو الزمن اسمها ولذا فقد اعترنا ان نجري فيه التنقيب ونزيل الاتربة من بين بقايا حجراته ، احياء لتلك العمارة التي كانت - بما وصفها مؤرخو العرب وشعراءهم - آية من براعة الفن وروعة الصنع وابتششر في العدد القادم تفاصيل تلك التنقيبات وما سيكشف عنه من الآثار . وغادرنا النجف مساء ذلك اليوم ووصلنا كربلاء بعد ان طوينا مسافة خمسة وسبعين كيلومترا ونزلنا في دار الضيافة ، فوجدنا وسائل الراحة متوفرة فيها .

وفي صباح اليوم الثاني قصدنا الاخضر ، ولما بلغنا في رحلتنا « طار السيد » المطلق على الشعب فاستطعنا عنده ان نرى في اقصى الافق كتلة غبراء لونها ، هي كل ما بدا لنا اول مرة من الاخضر الذي يعد أكثر بنايات العراق التذكارية هبة وجلالا . واخذت سيماءه وابراجها توضح تدريجيا كلما اقتربنا منه ، وعند عقيق قريب منه يعرف بالابيض سرنا على الاقدام اليه .

والاخضر واقع في جنوب غربي كربلاء على خمسين كيلومترا عنها . ويبدو لنا انه دعى بهذا الاسم لاختضار الارض القائم هو فوقها ، كما دعى العقيق المجاور له بالابيض ليباض حصاه ورماله (اللوح - ٩) .

فوجدنا انها من اواخر العهد الساساني في العراق . وعثرنا على عدد يسير من مسكوكات نحاس واجزائها ، ظهرت الكتابة في احدائها بعد معالجتها في مختبر مديرتنا واضحة جاء فيها انها ضربت في الكوفة سنة ١٤٣ للهجرة (٢٣) ، وكان القصر شاخصا نائما في زمن الخلفاء الراشدين ، وذلك لان امير المؤمنين علي بن ابي طالب نزل بالخورنق بعض ايام الشتاء محتسبا بجدرانه من شدة البرد ولذعته (٢٤) . ونزل فيه الرحالة الشهير « ابن بطوطة » في اوائل القرن الثامن للهجرة غير ان القصر كان اوئذ قد تساقط معظم قبابه (٢٥) .

(٢٣) وهذا النقد وحيد في نوعه بين مجاميع المسكوكات النحاس في متحفنا ، جاء في وجهه « لا اله الا الله والحمد لله والله اكبر » وفي قفاه ، المركز « صلى الله على محمد النبي « الهامس » بسم الله الاحمد ما ضرب بالكوفة سنة ثلث واربعين ومئة » . (٢٤) عن عرو بن عنترة عن ابيه قال « دخلت على علي بن ابي طالب بالخورنق وعليه قطيعة وهو يرعد من البرد ، فقلت (يا امير المؤمنين قد جعل الله لاعل بيتك في هذا المال نصيبا وانت تفعل بنفسك هذا) فقال (ابي والله لا ارزأ من امواليك شيئا وهذه القطيعة التي اخرجتها من بيتي - او قال من المدينة - نقلها استنسخه الدكتور مصطفى جواد عن مخطوطة في باريس رقم ٣٤٨١ من كتاب المجالسة لاحمد بن مروان المالكي ، ج ٣٢ ، ص ٥ .

(٢٥) « فنزلنا الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء ، وبه عمارة وبنايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على غير يخرج من الفرات » . (رحلة ابن بطوطة) التي نشرها دي فرييري وسكوتني الجزء الثاني ص ١

والمصور ، بعد ان ارغمه المنصور على التنازل عن ولاية العهد .

وقد جمع الاخضر في عمارته بين الاساليب الرياضية الساسانية والبيزنطية وبين شيء من اساليب لم تكن معهودة قبل الاسلام . فمشكياته وشبابيكه وزخرفته قريبة الشبه بما في طاق كسرى . وتيجان اساطينه المنحوتة من المرمر منقوشة بزخرفة بيزنطية الاسلوب قوامها ورق شجر « الاقنا Acnathus » واعصانها (اللوح - ١٠ أ) .

وهذا القصر أحسن بناء عربي قائم تتجلى فيه عظمة العمارة الاسلامية الاولى ، ويحوم فيه وحوله ذلك المنطلق المتطلع دوما الى صفاء البادية .

وقفلنا راجعين الى كربلاء نسابق الشمس قبل مغيبها ، وومضت منائر كربلاء بانعكاس اشعة الشمس عليها ، هادية لنا الى طريقنا . ثم اجتزنا بساتين كربلاء المزهرة اشجارها . ومن بعدها عبرنا جسر المسيب ونحن نحاول ان نتخلص من اعاصير ذات غبار هبت علينا من الشمال ، لم نر منجى منها الا عند اقترابنا من بغداد ، وكان ذلك يوم الاثنين المصادف ٤٥/٣/٥ بعد ان قطعنا في رحلتنا هذه التي استغرقت من الزمن مدة ثمانية أيام ومن المسافة ألف وستماية كيلومتر وانتهت بذلك جولتنا الى مواطن الآثار في جنوبي العراق وقد كانت ميمونة بمؤازرة اصحاب السعادة متصرفي الكوت والمنتفك والديوانية وقائمقامي السماوة والتجف وغيرهم من كبار الموظفين الاداريين الذين ابدوا لنا من المساعدة ما لم نكن نغنى عنه فنحن نتقدم اليهم جميعا بالشكر الجزيل .

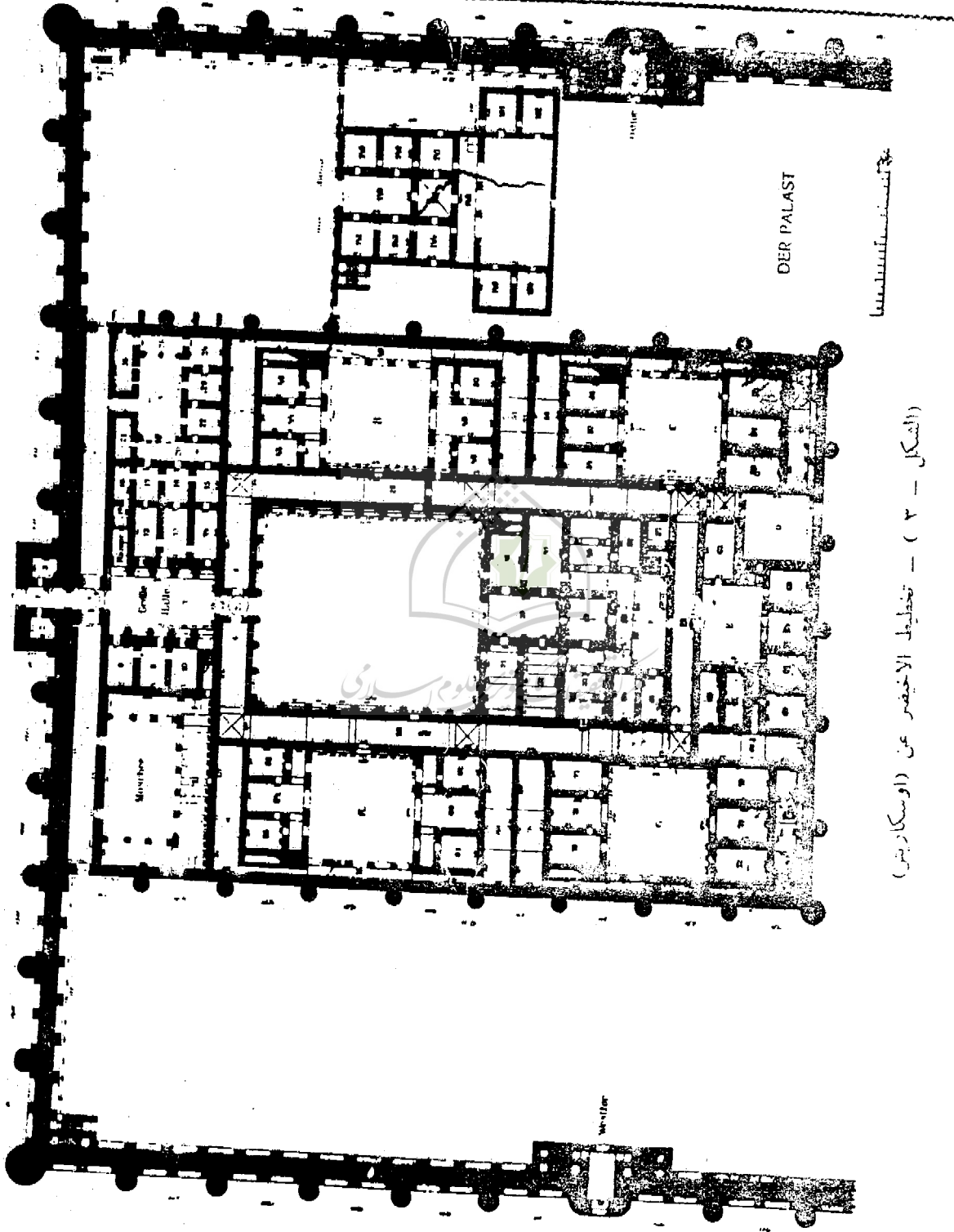
والاخضر (٢٦) قصر مستطيل الشكل يشغل ثلث ارض حصن مساحتها ١٦٠ x ١٦٠ مترا (الشكل - ٣) وعند دخولنا فيه سلكننا دهليز أفضى بنا الى بهو واسع لم تزل عقادته على حالها الاصلية . ومنه نفذنا الى رحبة واسعة (اللوح - ١٠ ب) في اطرافها حجرات عديدة ، تصل بينها دهاليز ضيقة . ولقد تفقدنا القصر جزءا جزءا وانتدعى انتباهنا جامع الصغير المكشوف . وهو ذو محراب صغير (٢٧) في كل من جانبيه وحرمه (٢٨) بلاطة (اللوح - ١١) . وهذا الجامع جزء اصيل من القصر ، ويحتم وجوده ان نفى ما يقال من رجح تشييد الاخضر الى ازمته تسبق الفتح الاسلامي للعراق . ويجمنا برجح رأى « كريسويل » وان كنا الآن لا نستطيع ان نبت بانه شيد في عهد عيسى بن موسى الذي كان ابن احي السفاح

(٢٦) لقد كان المستر سيتون لويد خير دليل لنا على معرفة اجزاء هذا الاثر القائم . راجع ما كتبه في « الاخضر » في كتابه

Ruined Cities of Iraq p. 27 F.

(٢٧) ويجعل بنا ان نعترف باعجاب بأن « لس جرترود بيل » كانت اول من اهتمت الى وجود محراب في ناحية من الاخضر ما ايدت اسلامية هذا الاثر . ولس بيل كتاب قيم في الموضوع عنوانه *Palace and Mosque at 'Ukhaidir* طبع عام ١٩١٤ في اكسفورد وهو ثمرة الجهود العظيمة التي بذلتها في اثناء رحلتها الشاقة الكثيرة الصحاب سنة ١٩٠٩ .

(٢٨) وللاستزادة من معرفة اوصاف القصر تراجع نشرة مديرية الآثار عنه وعنوانها الاخضر .



DER PALAST

(الشكل - ٣) - تخطيط الاخير عن (اوسكاردين)

